

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٣٧ / ١٩٩٩

الأحد ١٢ أيلول

الأحد قبل رفع الصليب

تذكار القديس الشهيد

في الكهنة أفطونوموس

اللحن السادس

إنجيل السحر الرابع

الرسالة (غلاطية ٦ : ١١-١٨)

الإنجيل (يوحنا ٣ : ١٣ - ١٧)

+ عيد رفع الصليب

تعيّد الكنيسة الجامعة، شرقاً وغرباً، في الرابع عشر من أيلول لتذكار رفع الصليب الكريم المحيي. هذا العيد قديم جداً في الكنيسة وقد يعود الى زمن الملك قسطنطين ووالدته هيلانة في القرن الرابع.

تذكر المصادر الكنسيّة أن هذا العيد مرتبط بعدد من الأحداث التاريخية:

أولاً: ظهور علامة الصليب للملك قسطنطين وهو يستعد لمواجهة أخصامه ودخول روما، وقد كُتب الى جانب الصليب: "بهذه العلامة تنتصر"، فوضع شعار الصليب على كل بيارق جيشه وانتصر.

ثانياً: عثور القديسة هيلانة على عود الصليب المحيي بعد ضياع طويل. فقد أرسل الملك قسطنطين بعثة الى القدس برئاسة والدته هيلانة للبحث عن صليب الرب، وبعد بحث وتدقيق وجدت الصليب مدفوناً مع صليبين آخرين في مغارة تحت هيكل فينوس الذي بناه الإمبراطور أدريانوس في النصف الأول من القرن الثاني على جبل الجلجلة وصودف مرور جنازة قرب المكان، ولكي يعرف الشعب أي صليب من الثلاثة هو صليب الرب الحقيقي، أوقف مكايوس أسقف مدينة أورشليم (+٣٣١) الجنازة وأمر بوضع الميت على الصلبان. ولما لمس جسد الميت أحد الصلبان الثلاثة عاد حياً صحيحاً معافى. ويقال ان امرأة كانت في حال النزاع الأخير وضعت عليه فشفيته. وللحين قام الأسقف مكاريوس ورفع صليب الرب عالياً وبارك به الشعب الذي رنم: يا رب ارحم، وكان هذا في الرابع عشر من أيلول. واهتمت القديسة هيلانة ببناء كنيسة وضع فيها عود الصليب. ومنذ ذلك التاريخ صار يوم وجود الصليب الكرم يوماً مقدساً في الكنيسة يحتفل فيه بتذكار رفع الصليب الكريم المحيي. وكان أسقف أورشليم في مثل هذا اليوم من كل عام يدخل الكنيسة ويرفع الصليب عالياً ويبارك به المؤمنين القادمين للسجود له.

ثالثاً: هذا العيد مرتبط أيضاً بما حصل في القرن السابع. فقد غزا الملك الفارسي خسروا مدينة أورشليم عام ٦١٤ واخذ معه صليب الرب الى بلاد فارس مع البطيرك الأورشليمي زكريا وعدد كبير من الأسرى. وبقي الصليب والأسرى في المنفى مدة أربعة عشر عاماً الى حين انتصار الملك هرقل البيزنطي على الملك كسرى الفارسي. وهكذا نقل عود الصليب من بلاد فارس الى القسطنطينية عام ٦٢٨، وفي السنة التالية نقله الملك هرقل بيديه الى أورشليم ووضعها في مكانه، وهناك قدم الشكر لله على كل الإحسانات والإنصارات. ويقال ان العادة الممارسة اليوم بإشعال نار يوم عيد رفع الصليب تجد جذورها في هذه الحادثة، إذ عندما وجد الملك هرقل الصليب في بلاد فارس أراد إعلام شعوب الإمبراطورية بالعثور على الصليب. ولكي ينتشر الخبر بسرعة أوقدت النار على رؤوس الجبال علامة على وجوده. وبقيت العادة حتى يومنا هذا.

يبقى ان العيد يتخذ معناه الحقيقي إذا بقي الصليب مرفوعاً بل محفوراً في قلوبنا. فالصليب هو أداة خلاصنا إذ على الصليب سمر الرب الخطيئة وبه قهر الشيطان. وعندما نسجد أمام الصليب إنما نسجد للمصلوب عليه الذي منحنا الخلاص. فلنرفع صليب الرب عالياً فوق رؤوسنا ونصرخ: يا رب بقوة صليبك خلصنا وارحمنا آمين.

+ الشهيدة صوفيا وبناتها

تعبد الكنيسة المقدسة في السابع عشر من ايلول لتذكّار القديسات الشهيدات صوفيا وبناتها الثلاث بيستي (إيمان) وألبيزي (رجاء أو ناديا بالروسية) وأغابي (محنة). كانت صوفيا، التي يعني اسمها الحكمة، تتحلّى بالحكمة الى جانب الإيمان، وقد رفضت ضلال الأوثان والتصقت برأس الحكم، الرب يسوع، وزرعت حكمته في بناتها فنلنّ جميعاً إكليلاً الظفر والغلبة.

عاشت صوفيا وبناتها الثلاث في القرن الثاني الذي تميّز بالاضطهادات القاسية ضدّ المسيحيين في عهد الامبارطور تريانوس (+117) وابنه أدريانوس (117-138). ولدت القديسة صوفيا من والدين وثنيين في إحدى مدن ايطاليا، وقد زوجها من رجل وثني أنجبت منه ثلاث بنات هنّ إيمان ورجاء وحنة. لكن صوفيا تعرّقت الى الرب يسوع واعتنقت مع بناتها الإيمان المسيحي. وبعد أن تزلت انتقلت مع بناتها للعيش في روما. هناك التقت النسوة الأربع أسقف المدينة واقتبلن المعمودية على يده بعد أن تعلّمن كل ما يختص بالإيمان والأسرار.

أظهرت صوفيا وبناتها غيرة شديدة على الإيمان، وأخذن يبشّرن الوثنيين فاقتبلن الكثيرون المعمودية بواسطتهن.

وصل خبر صوفيا وبناتها الإمبراطور أدريانوس فارسل جنوده وألقوا القبض عليهنّ وأحضروهنّ الى ديوانه.

حاول الإمبراطور التأثير عليهن تارة بالإغراءات وطوراً بالترهيب، لكنهنّ بقين ثابتات في الإيمان بالمسيح والاعتراف علناً به. عندها أمر الملك بتعذيب الفتيات الثلاث أمام أمهنّ، ولما لم يصل الى أية نتيجة أمر بقطع راس إيمان وكان عمرها اثنتي عشرة سنة، ثم عذب رجاء (عشر سنوات) فقد أمر بطرحها في النار، ولما لم تحترق أمر بقطع رأسها. كل هذا أمام عيني والدتهنّ. وإذ شاء أدريانوس تعذيب صوفيا لم يقتلها بل أطلقها لتعيش متحسوة على بناتها.

حملت صوفيا بناتها القديسات ودفنتهنّ بعد أن قدّمت الشكر لله، وبقيت تصلّي قرب القبر ثلاثة أيام أسلمت في نهايتها الروح فدفنت الى جانب بناتها، واستحقت معهنّ السعادة السماوية.

إن حكمة صوفيا لعظيمة جداً. فقد فضلت الكنز السماوي والسعادة السماوية على السعادة الوقتية على الأرض. وهي نموذج لكل أم تزرع المسيح في قلوب أولادها. فبشافة صوفيا وبناتها اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ من قواييننا

بما أن الصليب المحيي قد أظهر لنا الخلاص فيجب ان يقدم له الإكرام اللائق وقد نجونا بواسطته من اللعنة القديمة، ويجب أن نكرّمه بالفكر والشفاه وبكل الحواس. ونأمر لذلك بإزالة كل ما قام به البعض من جعل رسمه على الأرض ازالة لا تبقي أثراً لنلا نتعرض راية الظفر للاهانة والتحقير بدوسها بالاقدام. وكل من يضع رسم علامة الصليب على الأرض بعد اليوم فليقطع. (القانون ٧٣ من المجمع المسكون الخامس - السادس).

+ من أقوال الآباء في الصليب

ونحن نسجد أيضاً لرسم الصليب الكريم المحيي ولو كان من مادة أخرى، لأننا لا نكرّم المادة، حاشا! بل الرسم، على أنه رمزُ المسيح. وقد قال هو بوصيته لتلاميذه: " وحينئذٍ تظهر علامةُ ابن البشر في السماء " (متى ٢٤:٣٠) - دالاً بذلك على الصليب - . لذلك قال أيضاً ملاك القيامة للنسوة: " إنكنّ تطلينّ يسوع الناصريّ المصلوب " (مر ١٦:٦)، لأنّ كثيرين هم الذين يتكفّنون بالمسيح وبيسوع ولكنّ المصلوب واحد. وهو لم يقل: المطعون بحربةٍ، بل المصلوب. وعليه يجب السجود لعلامة المسيح، لأنه حيثما تكون العلامة يكون هو نفسه أيضاً. أمّا المادة المعمول منها رسمُ الصليب، ذهباً كانت أو حجارة كريمة، فاذا حدث أن زالَ الرسم، لا ينبغي لها السجود. وعليه فإننا نسجد لكل ما يُنسب لله، مركزين عبادتنا عليه.

إن عود الحياة، ذلك الذي قد غرسه الله في الفردوس، كان قد سبق ورمز الصليب الكريم. فلمّا دخل الموت إلينا بالعود، وجبَ أن تُعطى لنا بالعود الحياة والقيامة. ويعقوب الأول لمّا سجد لرأس عصا يوسف قد صوّر الصليب، ولما بارك ولديه بيديه المتعارضتين، رسمَ علامة الصليب رسماً جلياً جداً. وأن عصا موسى - بضرب البحر بها في شكل صليب - أنقذت إسرائيل وغرقت فرعون. وإن يديه المبسوطتين على شكل صليب قهرتا عمليق. والماء المرّ قد صار حلواً بالعود وانفلقت الصخرة وجرت منها المياه. وإن عصاً أيضاً قد احتفظت لهارون برئاسة الكهنوت. والحية لما رفعت على عود وقد بد مائتة، خلّص العود أولئك المؤمنين الناظرين الى عدوهم مائتاً. ذلك على مثال المسيح الذي لم يعرف خطيئة وقد سُمرّ بجسد الخطيئة. لذلك صرخ موسى العظيم قائلاً: " انظروا الى حياتكم على عودٍ معلّقة تجاه أعينكم " (تثنية ٢٨:٦٦). وقال أشعيا: " بسطتُ يديّ النهار كلّهُ نحو شعبٍ عاصٍ يسلكون

طريقاً غير صالح وراء أفكارهم " (اشعيا ٢:٦٥). أما نحن الساجدين له عسانا نحظى
بالنصيب مع المسيح المصلوب !

القديس يوحنا الدمشقي